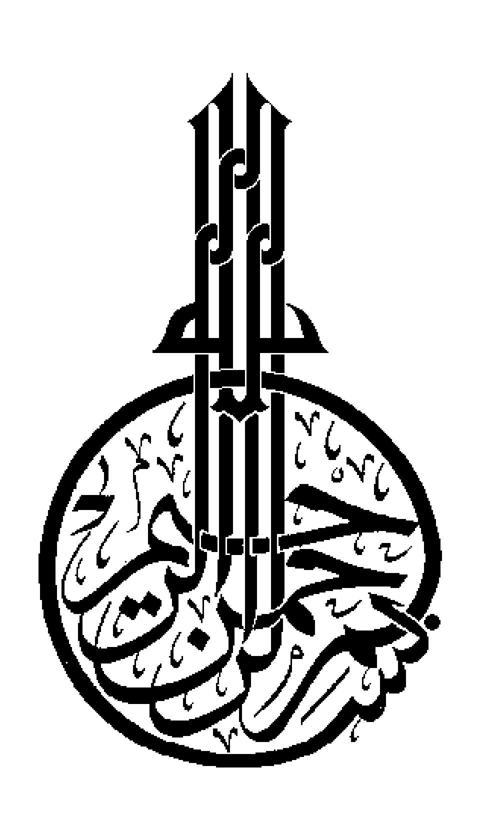
أيها المجاهدون

الله الله في قلوبكم

لفضيلة الشيخ

أبي حمزة البغدادي


بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المجاهدون الله الله في قلوبكم[١]

الحمد لله الذي أمر بإخلاص الدين، وجعل ذلك شرطاً في قبول عبادة المتعبدين، فقال وهو اصدق القائلين (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**)[٢].

والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وقدوةً للسالكين، وإماماً للصادقين، ومحجةً للمخلصين، وقرةَ عينٍ للمجاهدين، وحجّـةً عـلى الخلـق أجمعين، وعلى آله وصحابته الميامين الذين جاهدوا في سبيل الله حق جهـاده، حتى أتاهم اليقين، فكانوا لربهم من العابدين، ولنبيهم مـن المتبعـين، وعـلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فهذه تذكرة في الصدق و الإخـلاص والاحتسـاب أعـددناها لإخواننـا المجاهدين الذين يسعون لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى، حيث أن النصر لا يكون إلّا مع صدق النيات وإخلاص الطويّات، كما قال رب البريات: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيماً وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ**

---

(١) أصل هذه المادة محاضرة لمسؤول الهيئة الشرعية لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين فك الله أسره

(٢) – الفاتحة الآية (٥).

عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾[١].

فهذه الآية أصل في الصدق والإخلاص في الثبات عند قتال الأعداء، والإقدام على المنايا ابتغاءَ مرضاتِ الله، فقوله تعالى (**فعلمَ ما في قلوبِهم**) أي من صدق النية على الوفاء بهذه البيعة الصادقة بيعة الرضوان يوم الحديبية، وكانت على الصبر و الاصطبار وعدم الجزع والفرار، وإن قتلوا جميعاً، فكان ثوابُ صدق نياتهم هو إنزال السكينة عليهم، و السكينة: هي طمأنينة القلوب في الشدائد واضطرام الحروب، دل ذلك على أن الصحابة أضمروا في قلوبهم ألّا يفروا أمام الأعداء في البأساء والضراء، وحين تفاقم الابتلاء، فأعانهم على ذلك رب الأرض والسماء، ومع السكينة جازاهم بالفتح القريب والغنائم الطيبة، قال جل في علاه: ﴿**و أثابهم فتحاً قريباً ومغانمَ كثيرة يأخذونها**﴾فدلّت الآية على أن الله تعالى يُثيب صادق النية في الدنيا بالإعانة على الطاعة وقت الشدائد والمحن والبلايا، فالمخلصون من أثبت الناس قلوباً ومن أصدق الخلق ألسناً، كما تجلّى ذلك يوم الأحزاب التي تكالبتْ على قتل رسول الله ﷺ، فقال الله تعالى عن المخلصين الأطياب **{وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً}**[٢].

فلم يُفَك ذلك الحصارُ العسكري الذي ضرب بأطنابه مدينة رسول الله

[١] - الفتح الآيات من (١٨-٢٠).

[٢] - الأحزاب الآية (٢٢).

ﷺ إلا بصدق المناجاة مع رب الأرض والسماوات.

فكفاهم الله كيد الأعداء ومكر الاعتداء، قال تعالى: {**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِياً عَزِيزاً**}[1].إنّ من ثمرات الإخلاص طمأنينة القلب وسكينة الجوارح وقت منازلة الكفار و مناجزة المنافقين الفجار الذين جعلوا كيدَهم للمؤمنين المجاهدين غايةً، وقتلَ دعوتهم وكلمتهم هدفاً ورايةً، ولكن يأبى الله إلا أن يجعل النصرَ والتمكينَ للصادقين ولاية، حتى تكون تلك المكارم والانتصارات في شامة التاريخ آية {**إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**}[2].

فهذه الآية الكريمة شعار المخلصين ودِثَارُ الصادقين وسَلوَى الغرباء الموحدين وقُرّة عين المهاجرين (**لا تحزَنْ إنّ اللهَ معنا**) كلمة صادقة من قلب صادق استشعر معيّة الله ونصره له، فتهاوى تحت ثباته كيد الكافرين وعسكر المشركين، فصارت كلمة الكافرين السفلى وكلمة الله هي العليا.

وبلواء الإخلاص هذا الذي انعقد على قلب موسى ﷺ، انتصر على كيد فرعون وعسكره {**فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ**

---

[1] – الأحزاب الآية (٢٥).

[2] – التوبة الآية (٤٠).

كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ }[١].

إن التعلق بالله من أعظم أسباب الحفظ والنجاة ومن أجلِّ القربات والطاعات **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}**[٢].

وعلى المجاهد أن يكون عارفاً لمعنى الإخلاص، ذلك لأن القول و العمل لا يقبلان إلا به، قال تعالى {**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**}[٣].

قال أهل العلم في معنى قوله تعالى (أَحْسَنُ عَمَلاً) أي خالصاً لله تعالى، صواباً على سنة النبي ﷺ.

قال صاحب منازل السائرين: «الإخلاص: تصفية العمل من كل شوب».

قال ابن القيم رحمه الله: «أي لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس: إما طلب التزيّن في قلوب الخلق، وإما طلب مدحهم،

---

[١] – الشعراء الآيات من (٦١– ٦٧).

[٢] – محمد الآية (٧).

[٣] – الملك الآيات من (١–٢).

والهرب من ذمّهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم، أو خدمتهم أو محبّتهم، وقضائهم حوائجه، أو غير ذلك من العلل والشوائب التي عقد متفرقاتها هو إرادة ما سوى الله بعمله كائناً ما كان».

وقال أيضاً:

قيل: هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة.

وقيل: تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين.

وقيل: التوقّي من ملاحظة الخلق حتى عن نفسك و" الصدق" التنقي من مطالعة النفس، فالمخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له، ولا يتم الإخلاص إلا بالصدق، ولا الصدق إلا بالإخلاص، ولا **يتمان إلا بالصبر**.

وقيل: الإخلاص: استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، والرياء: أن يكون ظاهره خيراً من باطنه. والصدق في الإخلاص أن يكون باطنه أعمر من ظاهره.

وقيل: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله.

ومن كلام الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك.

والإخلاص: أن يعافيك الله منهما.

وقال أبو سليمان الداراني: إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء). انتهى كلامه، المدارج لابن القيم.

إن الجهاد عبادة أمرنا الله تعالى بها، فعلى المجاهد أن يستحضر مراقبة الله عليه في كل أحواله وأقواله.

وقد سأل جبريل النبي ﷺ عن الإحسان فقال عليه الصلاة والسلام : «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك» رواه مسلم.

قال النووي رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث: « فمقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة، ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك، وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعاً من تلبسه بشيء من النقائص احتراماً لهم واستحياء منهم، فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعاً عليه في سره وعلانيته؟!» [١].

قال تعالى {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**} [٢]

---

[١] – شرح صحيح مسلم ج١/ ص١٥٨

[٢] –النساء الآية (١).

أيها المجاهدون في سبيل الله، الله الله في قلوبكم، أخلصوا لله في أعمالكم، فإنكم بين المنايا تذودون، وعن حياض دين ربكم تقاتلون، وعن أعراض المسلمات الطاهرات تذبّون، وأنتم في أعظم الثغور تصابرون، ولإعلاء كلمة ربكم تجاهدون، فأقبلوا على الله بقلوب خاشعة وجوارح راكعة وعيون دامعة، ولا يستهوينكم الشيطان فيرديكم في حمأة الاستكبار والرياء، فإنما اخذ على نفسه عهداً بالإغواء، فما نجا من شركه إلا المخلصون الأولياء **{قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}**[١].

فلا بد من تجديد البيعة مع الله بالطاعة، والتذلل بين يديه في كل ساعة، وذلك بالندم والتوبة والاستغفار، وهذا دأب المجاهدين الأبرار والصادقين الأخيار الذين قصدوا بقتالهم إعلاء كلمة الواحد القهار: **{إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}**[٢].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فأرشد من اشترى منهم

---

[١] - الحجر الآيات من (٣٩-٤٠).

[٢] - التوبة الآيات من (١١١-١١٢).

نفوسهم إلى الوفاء بالتسليم، وحضّهم على بيان ما لهم فيه من الربح الجزيل والفضل العظيم.

وخاطب المقرّين بالبيع، المماطلين بالتسليم خطاباً، بل عتاباً وتوبيخاً، يُقرَأ أبداً في محكم التنزيل: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ}**[١].

ثم حذّرهم عن الإصرار على المماطلة، وتوعدهم على التسويف بعد وجوب النفير، فقال سبحانه: **{إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**[٢]. [الدرر السنية المجلد الثامن / كتاب الجهاد ص (١٦-١٧)]

إن النصر لا يتنزل إلا مع الصبر والثبات واليقين، ولا يتصدع صفُّ الكفّار إلا بذكر الله عند ملاقاة الأعداء في كل حين، وترك التنازع والاختلاف، فإنه مذهب لريح المجاهدين، وموهن لصف المقاتلين **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ }**[٣].

---

[١] -التوبة الآية (٣٨).

[٢] - سورة التوبة الآية (٣٩).

[٣] - الأنفال الآيات من (٤٥-٤٩).

ومن وصايا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **لإخوانه المجاهدين**: (فلا تغتروا بأهل الكفر وما أعطوه من القوة والعدة، فإنكم لا تقاتلون إلا بأعمالكم، فإن أصلحتموها وصلحت، وعلم الله منكم الصدق في معاملته، وإخلاص النية له، أعانكم عليهم، وأذلهم، فإنهم عبيده ونواصيهم بيده، وهو الفعّال لما يريد. **{لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ}** انتهى كلامه رحمه الله[1].

إن مدار قبول الجهاد يتوقف على الصدق والإخلاص، فإنهما من اجلّ عبادات القلوب ومن أعظم أوامر علام الغيوب، **{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}**[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمة رحمه الله في كتاب (التحفة العراقية): « بل إخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه، فهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة أهل الأيمان، وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية، وهو قطب القران الذي تدور عليه رحاه » انتهى كلامه رحمه الله.

قال تعالى: **{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ**

---

(١) – الدرر السنية المجلد الثامن / كتاب الجهاد ص٢٠.

(٢) – البينة الآية (٥).

أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ }[1].

وعلى المجاهد الصادق ان يقصد بقتاله وجه الله تعالى وحده لا شريك له، ويخلص نيته من شوائب الشرك والرياء، وحظوظ النفس والدنيا، فكم من شجاع كان في القتال مقبلاً، وصار يوم القيامة في النار مكبلاً، وما ذاك إلا لأنه ما أخلص نيته لله، فخسر الدنيا والآخرة، وحديث النيات المتفق عليه، والذي عليه مدار الإسلام أصل في هذا الباب. فعن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» متفق عليه.

وهذا الحديث الصحيح من الأحاديث الهامة التي عليها مدار الاسلام حتى قال بعض أهل العلم : إن هذا الحديث نصف الإسلام، لأن الدين إما ظاهر وهو العمل أو باطن وهو النية، وعلى المجاهد في سبيل الله الذي يرجو لقاء الله أن يتدبّر الآيات والأحاديث الواردة في فضائل الإخلاص والترهيب من الرياء، قال تعالى: {**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ**

---

[1] – الزمر الآيات من (١١-١٥).

أَحَداً}[١].

وممّا لا شكّ فيه أن العمل لا يكون صالحاً إلا بشرطين:

الأول: أن يكون خالصاً لله تعالى، وذلك بان يقصد العبد بطاعته وجه الله عز وجل، وأن لا يشرك معه أحداً من خلقه، فلا يفعل شيئاً من العبادة ابتغاء مرضات الخلق، ولا يتركها لأجل أحد رياءً.

الثاني: أن يكون صواباً على هدي النبيﷺ فعلى هذين الشرطين يكون مدار السعادة والشقاوة في الدنيا والاخرة، قال تعالى{**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**}[٢].

فهذه آية السعداء المخلصين، وأما الاشقياء الذين قصدوا بعملهم غير وجه الله تعالى، وأشركوا معه غيره، فأولئك وقود جهنم، وهؤلاء وقعوا في شرك النية، وهي: الإرادة والقصد، و هذا الشرك هو أحد أنواع الشرك الاكبر المخرج من الملة والعياذ بالله، والدليل عليه، قوله تعالى: {**مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا**

---

[١] – الكهف الآية (110).

[٢] – النحل الآية (97).

كَانُواْ يَعْمَلُونَ}[١] فكلّ عمل بني على رياء او سمعة كان هباء منثوراً، قال تعالى {**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً**} ولا تكون الشفاعة يوم القيامة إلّا لأهل الإخلاص كما قال تعالى: {**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**}[٢]، وقال تعالى: {**وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى**}[٣]، وقال: {**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللهَّ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرِ**}[٤].

قال أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نفى الله عمّا سواه كلّ ما يتعلق به المشركون: فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبيّن أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالى: {**وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى**}[٥].

فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة، كما نفاها القرآن؛ فالشفاعة لأهل الإخلاص بإذنه، ولا تكون لمن أشرك. وحقيقتها:

---

[١] – هود الآيات من (١٥-١٦).

[٢] – سورة البقرة الآية (٢٥٥).

[٣] –سورة الأنبياء الآية (٢٨).

[٤] –سورة سبأ الآيات (٢٢-٢٣).

[٥] سورة الأنبياء الآية (٢٨).

أن الله سبحانه هو الذي يتفضّل على أهـل الإخـلاص، فيغفـر لهـم بواسـطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود؛ وقد بين النبي ﷺ أن الشفاعة لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص»[١] .

فالله الله أيها المجاهدون..

الإخلاص الإخلاص..

فأخلصوا لله في النيات فإمّا نصر وإما شهادة في الجنات، فعن أبي موسى الأشـعري (رضي الله عنـه) قـال: سُـئل رسـول الله ﷺ عـن الرجـل يقاتـل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسـول الله ﷺ: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله.

ففي هذا الحديث العظيم دلالة على أن القتال الشرعي هو الذي أُريد بـه وجه الله، وكل من يقتل لأجل كلمة الله تعالى فهو الشـهيد حقـاً، كـما أخـبر بذلك النبي ﷺ حيث قال : « ما من مكلوم يُكْلَـم في سـبيل الله –والله أعلـم بمن يُكلَم في سبيله –إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دماً اللون لون الـدم والريح ريح المسك».

[١] – الدرر السنية ج٥/ ص٩٩.

فانظر أيها المجاهد كيف اشترط النبي ﷺ للشهادة؟!

أن يقاتل المرءُ في سبيل الله، وذلك واضح في قوله صلى الله عليه وسلم : (والله أعلم بمن يُكلَم في سبيله.)

قال النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث :-(قوله ﷺ [والله أعلم بمن يكلم في سبيله] هذا تنبيه على الإخلاص في الغزو، وأن الثواب المذكور فيه إنما هو لمن أخلص فيه، وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، قالوا: وهذا الفضل وإن كان ظاهره أنه في قتال الكفار فيدخل فيه من خرج في سبيل الله في قتال البغاة وقطاع الطريق وفي إقامة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ونحو ذلك، والله أعلم.) [١].

فكل من قاتل في سبيل حمية جاهلية أو راية عميّة أو عصبيّة عشائرية أو دعوة قومية وطنية فإنما يقاتل في سبيل الطاغوت، قال تعالى {**الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً**}[٢].

وفي الحديث الصحيح الإلهي القدسي، يقول الله تعالى: « أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري فهو للذي أشرك به،

---

[١] – شرح صحيح مسلم ج١٣/ ص٢٢.
[٢] – النساء الآية (٧٦).

وأنا منه بريء»[١].

وهناك بعض الناس تخفى عليه مسألة هامة وهي:

أن المسلم يقصد من خروجه مع الغزاة الجهاد في سبيل الله والانتفاع الدنيوي، ولابد من بيان هذه المسألة، وقد تكلّم عنها أهل العلم.

فقال في صاحب كتاب العمدة في إعداد العدة : « كلّ نفع دنيوي يحصل للمجاهد في سبيل الله ضِمْناً لا قصداً ينقص من أجره عند الله. وتفضيل ذلك أن الخارج للجهاد لا تخلو نيته عن حال من أربع:

الأولى: رجل خرج للغزو، وليس قصده أن تكون كلمة الله هي العليا، بل قصده المال أو الرياسة أو السمعة أو غير ذلك من حظوظ الدنيا، أو التجسس على المسلمين، أو ليخلو برجل من المسلمين ليقتله أثناء الحرب. فهذا في النار، لحديث أبي هريرة الذي ذكرتُه من قبلُ، وفيه: «قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّار».

ومع ذلك ـ أي مع فساد نية هذا ـ قد يحدث على يديه إعلاء كلمة الله ضمناً، وهذا هو المقصود بقوله صلى الله عليه وسلم: «**وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ**» .

---

[١] – رواه مسلم.

وفي رواية: «**وَبِأَقْوامٍ لاَ خَلاَقَ لهُم**».

الثانية: رجل خرج للغزو، وقصده إعلاء كلمة الله، وقصده أيضاً حظّ نفسه من مال أو سمعة أو رياسة، فهذا لا أجر له، لما رواه أبو داود والنسائي من حديث أبي أمامة بإسناد جيد، قال: «جاء رجل فقال: يا رسول الله، أَرَأَيْتَ رَجُلاً غَزَا يَلْتَمِسُ الأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :(لا شَيْءَ لَهُ) فَأَعَادَهَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ (لا شَيْءَ لَهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللهَ لا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلا مَا كَانَ لَهُ خَالِصاً وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ) ».

الثالثة: رجل خرج للغزو، وقصده إعلاء كلمة الله، لا قصد له غير هذا، ثم حصل له شيء من المغنم ضِمْناً لا قصداً، فهذا له أجر الجهاد في سبيل الله، ولكن نقص أجره بسبب ما ناله من غنيمة، بخلاف الحال الرابع. وهذا الحال الثالث هو موضع السؤال، فكل نفع دنيوي يُنْقِصُ الأجر.

الرابعة: رجل خرج للغزو، وقصده إعلاء كلمة الله، لا قصد له غير هذا، ولم يحصل له شيء من حظوظ الدنيا، فهذا له الأجر كاملاً، وهؤلاء درجات، أدناهم من رجع من الغزو سالماً بلا غنيمة، وأعلاهم من أُريق دمُه وعُقِرَ فرسُه وذَهَبَ مالُه في سبيل الله، وبينهما المصاب والشهيد.

ودليل الحالتين الثالثة والرابعة، هو حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: « مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهَّ فَيُصِيبُونَ الْغَنِيمَةَ إِلا تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ مِنَ الآخِرَةِ، وَيَبْقَى لَهُمُ الثُّلُثُ، وَإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً تَمَّ

لَهُمْ أَجْرُهُمْ».

وله في رواية أخرى: « مَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ إِلا كَانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أُجُورِهِمْ وَمَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تُخْفِقُ وَتُصَابُ إِلا تَمَّ أُجُورُهُمْ» والإخفاق هو أن يغزو فلا يغنموا شيئاً.

فهذا نص واضح صريح في أن من غزا ونيّته صالحة (في سبيل الله) إن رجع بشيء من الغنيمة نقص ذلك ثلثي أجره الأُخرَوي (وهي الحالة الثالثة التي ذكرتها، وهي موضع السؤال، وإن لم يرجع بشيء تم له أجره في الآخرة، وهي الحالة الرابعة).

وقد أورد البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه المسألة في كتاب فرض الخمس من صحيحه في باب (من قاتل للمغنم هل ينقص من أجره؟) هكذا مُعلِّقاً الحكم، ولم يجزم فيه بشيء.

وأورد فيه حديث أبي موسى الأشعري «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا».

وفَصَّل ابن حجر الأحوال المختلفة ولم يجزم في الحكم، بخلاف النووي الذي جزم في الحكم في هذه المسألة، فقال في شرح حديث عبد الله بن عمر السابق: «مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو...» قال رحمه الله: « فالصواب الذي لا يجوز غيره أن الغزاة إذا سَلِموا أو غنموا يكون أجرهم أقل من أجر من لم يسلم، أو سلم ولم يغنم، وأن الغنيمة هي في مقابلة جزء من أجر غزوهم، فإذا

حصلت لهم فقد تعجلوا ثلثي أجرهم المترتب على الغزو، وتكون هذه الغنيمة من جملة الأجر، وهذا موافق للأحاديث الصحيحة المشهورة عن الصحابة، كقوله «مِنَّا من مات ولم يأكل من أجره شيئاً، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يَهْدِبُهَا» أي يَجْتَنِيها فهذا الذي ذكرنا هو الصواب، وهو ظاهر الحديث، ولم يأتِ حديث صريح صحيح يخالف هذا، فتعين حمله على ما ذكرنا» انتهى كلامه.

إنّ الذي يلبس لامّةَ الحرب عليه أن يلازم ثغر قلبه لئلا يدخل عليه الشيطان، فيوقعه في الزلات والآثام، فيكون بذلك جندياً من جنود الغفلة والشهوات، فيحرم النصر والفلاح، ولا سبيل لذلك إلا بالصبر والمصابرة، قال تعالى {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**}[1].

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين : « وأما الإخلاص، فحقيقته: أن يخلص العبد لله، في أقواله وأفعاله وإرادته ونيته، وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم صلى الله عليه وسلم، التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام **{ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يُقبَل منه وهو في الآخرة من الخاسرين}** [2] وهي ملة إبراهيم، التي من رغب عنها، فهو من أسفه السفهاء **{ومن يرغب عن ملّة إبراهيم إلا من سفه**

---

[1] – آل عمران

[2] – آل عمران الآية (٨٥).

نفسه} [١].

وقد تظاهرت دلائل الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة، على اشتراط الإخلاص، للأعمال، والأقوال، الدينية؛ وأن الله لا يقبل منها، إلا ما كان خالصاً، وابتُغى به وجهه؛ ولهذا كان السلف الصالح، يجتهدون غاية الاجتهاد في تصحيح نياتهم، ويرون الإخلاص أعز الأشياء، وأشقّها على النفس، وذلك لمعرفتهم بالله، وما يجب له، وبعلل الأعمال وآفاتها، ولا يهمهم العمل لسهولته عليهم، وإنما يهمهم سلامة العمل وخلوصه من الشوائب المبطلة لثوابه، والمنقصة له.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ :« أمر النيّة شديد، وقال سفيان الثوري: ما عالجت شيئاً أشد علي من نيّتي، لأنها تتقلب علي، وقال يوسف بن إسباط : تخليص النية، من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد، وقال سهل بن عبد الله: ليس على النفس شيء أشق من الإخلاص، و لأنه ليس لها فيه نصيب، وقال يوسف بن الحسين: أعزّ شيء في الدنيا، الإخلاص، وكم اجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، وكأنه ينبت فيه على لون آخر، فيجب على من نصح نفسه أن يكون اهتمامه بتصحيح نيته، وتخليصها من الشوائب فوق اهتمامه بكل شيء، لأن الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى) [٢].

---

[١] – البقرة الآية (١٣٠).

[٢] – الدرر السنية المجلد الثاني ص (٢٩٤-٢٩٥) .

ومن أروع قصص المجاهدين المخلصين في الغزوات ما ذكره ابن قتيبة في كتابه (عيون الاخبار) حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « حاصر مسلمة بن عبد الملك حصناً، وكان في ذلك الحصن نقب – أي ثقب في الحائط – فندب الناس إلى دخوله، فما دخله أحد، فجاء رجل من عرض الجيش – أي من عامّته غير معروف – فدخله، ففتح الله عليه الحصن، فنادى مسلمة : أين صاحب النقب ؟ فما جاءه أحد، فنادى : إني قد أمرت الآذِن بإدخاله ساعة يأتي، فعزمت عليه إلا جاء.

فجاء رجل إلى الآذِن، فقال : استأذن لي على الأمير، فقال له : أنت صاحب النقب ؟ قال : أنا أخبركم عنه، فأتى الآذن إلى مسلمة فأخبره عنه، فأذن له فقال الرجل لمسلمة: غن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً : ألّا تسودوا اسمه – أي ألّا تكتبوه – في صحيفة إلى الخليفة، ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه ممن هو ؟-أي من أي قبيلة هو – قال مسلمة :- فذاك له. قال الرجل : أنا هو.

فكان مسلمة بعد هذه الحادثة لا يصلي صلاة إلّا قال : اللهم اجعلني مع صاحب النقب» . انتهى كلامه رحمه الله.

وعن أبي هريرة ﷺ، قال : قال رسول الله ﷺ: «تضمّن الله لمن خرج في سبيلي لا يخرجه إلّا جهاد في سبيلي، وإيمان بي وتصديق برسلي، فهو ضامن أن أدخله الجنة، أو أُرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده ما من كَلمٍ يُكلم في سبيل الله إلّا جاء يوم القيامة

كهيئته يوم كُلم، لونه لون دم، وريحه ريح مسك، والـذي نفـس محمـد بيـده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغـزو في سـبيل الله أبـداً، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجـدون سـعة، ويشـق علـيهم أن يتخلفـوا عني، والذي نفس محمد بيده، لوددت أن أغزو في سبيل الله، فأُقتَل، ثم أغزو فأُقتَل، ثم أغزو فأُقتَل» [١].

وعـن أنـس ﷺ قـال : انطلـق رسـول الله ﷺ وأصـحابه حتـى سـبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسـول الله ﷺ : ((لا يَقْـدُمَنْ أحـدٌ منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونـه)) فـدنا المشر-كون، فقـال رسـول الله ﷺ: ((قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض)) قال: يقول عمـير بـن الحـمام الأنصاري ﷺ : يـا رسـول الله جنـة عرضـها السـموات والأرض؟! قـال: "نعم" قال بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ : ((وما يحملك على قولك بـخ بـخ ؟ قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها))، قال: ((فإنك من أهلها، فأخرج تمرات من قرنه[٢] فجعل يأكل منهن، ثم قال : لئن أنا حَييـت حتى أكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة، فرمى بما معه من التمـر، ثـم قـاتلهم حتى قُتل)) [٣].

ألا فلينظر العلماء إلى شجاعة النبي ﷺ يوم بدرٍ، وهو يبـث الطمأنينـة في

---

[١] – رواه مسلم، وروى البخاري بعضه.

[٢] – ((القرن)) بفتح القاف والراء : هو جعبة النشاب.

[٣] – رواه مسلم.

صف أصحابه ويجرّؤهم على الإقدام والجهاد في سبيل الله، فيخاطبهم وسط المنايا، وهو يقول لهم: (**لا يَقدُمَنّ أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه**) وعلى هذا دأبُ العلماء الربانيون من هذه الأمة، فكانوا علماً في الاقتداء وراية في الاهتداء وقدوةً في الصبر على الابتلاء، فهذا الإمام البويطي رحمه الله من أقران الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ جيء به من مصر إلى بغداد مكبلاً يوم فتنة خلق القرآن، فقال كلمة حقٍ عظيمةً أمام الواثق: ((لئن دخلتُ عليه لأصدقَنْ، ولأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قومٌ يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قومٌ في حديدهم)) وتوفي رحمه الله في قيده مسجوناً بالعراق في سنةِ إحدى وثلاثين ومائتين من الهجرة[١].

فلن تحيا هذه الأمة إلا بعد أن ترى بأم عينها ثبات العلماء المخلصين الصادعين بكلمة الحق، وهم يقودون كتائب المجاهدين وسرايا المرابطين، ولن تحيا كلمة الإسلام إلا بعد أن تُروَى بدماء علمائها وإراقتها في سبيل الله، لإعلاء كلمته، وإذلال كلمة الكافرين والمنافقين، عندئذٍ يقول الناس: آمنا برب الغلام. ألا فليتق الله المجاهدون في سرائرهم ونياتهم، قال تعالى: {**يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ** }[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الناس يُقضَى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأُتي به، فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت

---

(١) – سير أعلام النبلاء ج / ص.

(٢) – الطارق الآيات (٩، ١٠).

فيها ؟ قال : قاتلتُ فيك حتى استُشهِدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يُقال جريء، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه، ثم أُلقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلم وعلّمتُه، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلّمت العلم، وقرأت القرآن ليقال عنك قارئ، فقد قيل، ثم أُمر به، فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل وسّع الله عليه، واعطاه من أصناف المال كله، فأتي به، فعرّفه نعمه فعرفها، قال: ما عملت فيها قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق إلا انفقت فيها لك، قال : كذبت، ولكنك فعلت ليقال عنك جواد، فقد قيل، ثم أُمر به، فسحب على وجهه، ثم أُلقي في النار»[١].

قال النووي رحمه الله: « وفيه أن العموميات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصاً، وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات، كلّه محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصاً» .

إن الإخلاص ثمرة من ثمار محبة الله للعبد وعصمة له من المعاصي والفواحش، كما قال تعالى عن عبده يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام: **{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}**[٢].

---

[١] – رواه مسلم (٣٥٢٧) ، الترمذي (٢٣٠٤)، النسائي (٣٠٨٦)، احمد (٧٩٢٨).

[٢] –يوسف الآية (٢٤).

فما صُرِفَ عنه السوء والفحشاء إلا بسبب إخلاصه لله وصدق سريرته، فأيّ عبد وقع في المعصية إلا لنقص في صدق نيته، والمخلص هو الذي يقدم محبة الله على محبة غيره، فلا يخاف لومة لائم، ولا يداهن احداً على حساب دينه، بل يرضي الله بسخط الناس.

أيّها المجاهدون: إن تبليغ رسالات الله وإظهار دينه يحتاج إلى تضحيات عظيمة، منها بذل النفس والمال في سبيل الله، ومنها عدم الخوف من الطواغيت وأذنابهم، ومنها الانتصار على ملذات الدنيا وشهوات النفس، ومنها إيثار ما عند الله على ما عند الخلق، قال تعالى: {**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً**}.[١]

وقال تعالى {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**}[٢].

---

[١] – الأحزاب الآية (٣٩).

[٢] – المائدة الآية (٥٤).

قال ابن القيم رحمه الله: فقد ذكر لهم أربع علامات:

أحدها : أنهم "أذلة على المؤمنين" قيل : معناه أرقّاء، رحماء مشفقين عليهم، عاطفين عليهم، فلما ضمن "أذلة" هذا المعنى عدّاه بأداة " على" قال عطاء : للمؤمنين كالولد لوالده، والعبد لسيده.

والعلامة الثانية: على الكافرين كالأسد على فريسته، ((أشداء على الكفار رحماء بينهم))

العلامة الثالثة: الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد، واللسان واليد، وذلك تحقيق دعوى المحبة.

العلامة الرابعة: أنهم لا تأخذ في الله لومة لائم، (وهذه علامة صفة المحبة، فكل محب يأخذه اللوم عن محبوبه فليس بمحب على الحقيقة) [1].

قال ابن القيم رحمه الله في المدراج ط٣، ص ١٣-١٤((في الاسباب الجالبة للمحبة، والموجبة لها. وهي عشرة:

أحدها : قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد، ويشرحه ليتفهّم مراد صاحبه منه.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

---

[1] - المدراج ط٣/ ص١٧.

الثالث: دوام ذكره على كل حال : باللسان والقلب، والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع : إيثار محابّه على محابّك عند غلبات الهوى، والتسنّم إلى محابّه وإن صعب المرتقى.

الخامس : مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، أحبه لا محالة. ولهذا كانت المعطّلة والفرعونية والجهمية قطاع الطريق إلى القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب.

السادس : مشاهدة برّه وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته.

السابع: وهو من أعجبه انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب، والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطايب الثمر ولا تتكلم إلّا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل، فمن هذه الاسباب العشرة وصل المحبوب الى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب، وملاك ذلك كله اقرار استعداد الروح لهذا الشأن، وافتتاح عين البصيرة. وبالله التوفيق) انتهى كلامه رحمه الله.

فالمجاهدون في سبيل الله هم أعلى الناس قدراً عند الله، وأحب الخلق إليه لأنهم بذلوا مهجة نفوسهم لإعلاء كلمته ونصرة دينه، ولـذلك فـإن الله معهم، فلا يضيرهم كيد الأعداء ولا يوهنهم جمع الكبراء، ولا تَزِلّ أقدامهم عند اشتداد الابتلاء، ولا يفروا حذراً من الموت، بل يبتغون الموت مظانّه كلما سمعوا هيعة طاروا إليها.

قال ابن كثير في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ}[١].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي كما ان الحذر لا يغني من القدر، كذلك الفرار من الجهاد، وتجنبه لا يقرّب أجلاً ولا يبعده، بل الأجل المحتوم والرزق المقسوم مقدر مقنن، لا يزيد فيه ولا ينقص منه كما قال تعالى{**الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ**

---

[١] – البقرة الآية (٢٤٣).

صَادِقِينَ}[١].

وقال تعالى {**أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلًّ مِّنْ عِندِ اللّهِ فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**}[٢].

وروينا عن أمير الجيوش ومقدم العساكر وحامي حوزة الإسلام وسيف الله المسلول على أعدائه أبي سليمان خالد بن الوليد ﵁ أنه قال، قال وهو في سياق الموت : لقد شهدت كذا وكذا موقفاً، وما من عضو من أعضائي إلا وفيه رمية أو طعنة أو ضربة، وهاأنذا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء – يعني أنه يتألم لكونه ما مات قتيلاً في الحرب، ويتأسّف على ذلك، ويتألم أنه يموت على فراشه– اهـ كلامه.

ولذلك يقول تعالى في سورة آل عمران {**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَاباً مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ** }[٣].

قال تعالى {**فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن**

---

[١] – آل عمران (١٦٨).

[٢] – النساء الآية (٧٨).

[٣] – آل عمران الآيات (١٤٥-١٤٨).

يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ}[١].

قال ابن كثير في قوله تعالى ((والله معكم)) : فيه بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الأعداء- .

وبالإخلاص تستجاب الدعوات، وما من عبد أخلص النية لله، فأقسم عليه إلا أبرّه.

وهاكم أيها المجاهدون موقف البطل المقدام الصحابي الجليل البراء بن مالك بن النضر الأنصاري المجاب الدعوة، حيث تقدم لما اشتد الأمر بالمسلمين في موقعة اليمامة، فقال له سيف الله المسلول خالد بن الوليد : قم يا براء، فركب فرسه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : يا أهل المدينة لا مدينة لكم اليوم، وإنما هو الله وحده والجنة، ثم حمل وحمل الناسُ معه، فأنهزم أهل اليمامة، ولقي البراء في تلك الموقعة رجلاً جسيماً يقال له حمار اليمامة، بيده سيف أبيض، فضرب البراء رجليه، فانقعر فوقع على قفاه، فاخذ البراء سيف ذلك الرجل، وأغمد سيفه، وضرب بذلك السيف حتى تقطع، وزحف المسلمون على أهل اليمامة حتى الجؤوهم إلى حديقة فيها مسيلمة، فما كان من البراء إلا أن طلب من المسلمين أن يحملوه، ويلقوا به في داخل الحديقة في وسط جموع مسيلمة، فلما صار فوق الجدار رمى بنفسه عليهم، فقاتلهم حتى فتح الباب، وبه بضع وثمانون جراحة، ما بين رمية سهم أو

---

[١] – سورة محمد الآية (٣٥).

ضربة، فحُمل إلى رحله يُداوى، وأقام عليه خالد بن الوليد شهراً حتى عوفي، وفي معركة (تستر) في بلاد فارس اشتد الأمر بالمسلمين، وانكشف الناس، فقال المسلمون : يا براء اقسم على ربك، فقال : أقسم عليك يا رب لما منحتنا، أكتافهم وألحقني بنبيك، فحمل وحمل المسلمون معه، فقتل البراء عظيماً من عظماء الفرس وأخذ سلبه، وانهزم الفرس، وقتل البراء رضي الله عنه وأرضاه.

إن خالد بن الوليد كان قائداً على البراء وأمثاله، فصنع بهم الأعاجيب، ودوخ المسلمون الفرس والروم في آن واحد، لقد كان فيهم رجال ربّاهم رسول الإسلام بالإسلام، فكانوا عجائب الدنيا.

أيها المجاهدون: إن أمة الإسلام اليوم في نازلة عظمى ومحنة كبرى، وهي أنها بحاجة إلى رجالٍ كالبراء بن مالك، رهباناً بالليل فرساناً بالنهار تهزّ دعوتهم جيوش الكفار.

ونؤمن أن قول الله تعالى {**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**}[1].

هو في المجاهدين في سبيل الله المرابطين على ثغور المسلمين الذين أخلصوا نياتهم لله عز وجل؛ فهؤلاء هم الذين يهديهم الله إلى الصراط المستقيم، ويفتح على أيديهم، وينصر بهم الدين، ويوفّقهم للخير والسداد.

---

[1] – العنكبوت الآية (٦٩).

وإلى بلاد الرافدين يأتي البطل المهاجر أبو حفص الحجازي، حفيد البراء بن مالك، الحافظ لكتاب الله، والداعية لعقيدة أهل السنة والجماعة الذي قدم من بلاد الحرمين مهاجراً، وهو في ريعان شبابه، كل هذا وله من العمر إحدى وعشرون سنة، وهو أحد أبطال المجاهدين في الجزيرة الذين لقّنوا طواغيت آل سلول دروساً لن ينسوها، وأعلنوا البراءة منهم، وحطّموا كبريائهم: {**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**}[١].

فها هي أرض الوحي تلقي بفلذات أكبادها في بلاد الرافدين، فلما سمع شيخنا أبو حفص بصوت الجهاد ينادي بأرض خلافة الاسلام قطع الفيافي والقفار ليلحق بإخوانه المجاهدين في ثغور ديالى، فكان أسداً هصوراً من أسودها، وعالماً شرعياً في ثغورها، فامتشق السيف الأثري لمجاهدة الصليبين والرافضة الحاقدين، قال تعالى: {**وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً**}[٢].

فخرج بهذه النية الصادقة مهاجراً إلى الله ورسوله- نحسبه والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً- حتى وصل إلى ثغر المسلمين ليذبّ عن أعراضهم التي أوذيت في سجون الصليبية ومعتقلات الداخلية المرتدة العراقية، ومن

---

[١] – الاحزاب الآية (٢٣).

[٢] – النساء الآية (١٠٠) .

مآثره رحمه الله أنه كان يعشق منازلة الكفار، فما من منية في سبيل الله إلا اقتحمها، حتى أقعده أميره عن ذلك فترة من الزمن ليدرس المجاهدين، ويعلم المرابطين بعض العلوم الشرعية في التوحيد والفقه والآداب والأخلاق، فما كان منه إلا أن بعث قصيدة بصوته إلى أميره، فكانت رسالة حنين إلى سلاحه وإلى ميدان القتال والشوق إلى الشهادة فقال فيها رحمه الله:

يا ربّ عجّل بالوصال فإنّني

متألّمٌ والنفس قد أعياها

طول القعود عن اللقاء فهل لنا

من موعدٍ معها لكي نلقاها

فانطلق بعد صلاة فجر يوم السابع والعشرين من رمضان بعد أن صلى إماماً بإخوانه المهاجرين والأنصار، وقام خطيباً محرضاً لهم على القتال، متأسّياً بقول رسول الله ﷺ ((لا يقدمَنّ أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه)).

فلله درك يا أبا حفص عشت بين إخوانك الانصار قدوة و معلماً، لم تفارق المصحف و السلاح، وقد نازلت ميدان القتال صائماً مقداماً، وعالماً إماماً، وبطلاً ضرغاماً، فسلاماً عليك سلاماً، وقد هزمت الصليبين بين يديك والمرتدين لياليا وأياماً، وجاءتك الشهادة كما سألتها من مولاك، ونقسم بالله تعالى أننا شممنا ريح المسك قد فاحت من بدنك بشهادتي

وشهادة كل أخ وقف على جسدك، رحمك الله وتقبلك من الشهداء، ونحن ندعوا إخواننا من طلبة العلم الشرعي في جميع بلدان العالم أن يأتوا إلينا، ويذوقوا حلاوة الجهاد وكرامات المجاهدين.

أيها المجاهدون: كما أن الإخلاص سبب لكشف الكُربات العظيمة والأهوال الجسيمة، بل إن الله تعالى يسخر الكون لنصرة المخلصين الصادقين الذين يسألونه وقت اشتداد الابتلاء وتكالب الاعداء.

قال تعالى عن عبده نوح الصادق المخلص (عليه الصلاة والسلام) {**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ**}[١].

إن الإخلاص لله سلاح عجيب في الشدائد والنوازل وانطباق الكربات، فلا تقف أمام الإخلاص شدة مهما عظمت، ولو كانت قوى الأرض كلها بجيشها وعددها وعدتها.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :«انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى آووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت

[١] – القمر الآيات من (٩-١٦).

عليهم صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم؛ قال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، و كنت لا أغبق قبلهما أهلاً و لا مالاً، فنأى بي في طلب شيء يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبتُ لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت و القدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا، فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج ؛ و قال الآخر : اللهم كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إليّ، فأردتها على نفسها، فامتنعت مني حتى ألّمت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين و مائة دينار على أن تخلي بيني و بين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت : لا يحلّ لك أن تفضّ الخاتم إلا بحقّه، فتحرّجت من الوقوع عليها، فانصرفتُ عنها، و هي أحب الناس إليّ، و تركتُ الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها ؛ و قال الثالث : اللهم استأجرت أجراء، فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمّرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أدّي إليّ أجري فقلت له : كل ما ترى من أجرك من الإبل و البقر و الغنم و الرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كلّه، فاستاقه، فلم يترك منه شيئاً، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنّا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة،

فخرجوا يمشون» متفق عليه .

وعلى الاخ المجاهد أن يتمعن في هذا الحديث العظيم، وأن يتدبّر معانيه، ويقف عنده بتأمل، ويتعظ بكلام نبيه ﷺ، وأن يجعل من الإخلاص والتقوى زاداً لملاقاة الله جل وعلا، **{وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ}**[1].

وأما الفوائد المستنبطة من هذا الحديث:

أولاً: أن العمل الصالح الذي يقوم به العبد مخلصاً لله تعالى كلما عظم نفعه للخلق، وسأل الله تعالى به عظم فرج الله عليه، وأزال عنه أعظم الكربات.

قال ابن حجر في فتح الباري ج٦ ص ٥١١: « وأما من حيث المعنى فينظر أي الثلاثة كان أنفع لأصحابه، والذي يظهر أنه الثالث لأنه هو الذي أمكنهم أن يخرجوا بدعائه، وإلّا فالأول أفاد إخراجهم من الظلمة، والثاني أفاد الزيادة في ذلك، وإمكان التوسل إلى الخروج بأن يمر مثلاً هناك من يعالج لهم، والثالث هو الذي تهيّأ لهم الخروج بسببه، فهو أنفعهم لهم، فينبغي أن يكون عمل الثالث أكثر فضلاً من عمل الأخيرين، ويظهر ذلك من الأعمال الثلاثة، فصاحب الأبوين فضيلته مقصورة على نفسه لأنه أفاد أنه كان باراً بأبويه، وصاحب الأجير نفعه متعد، وأفاد بأنه كان عظيم الأمانة،

---

[1] – البقرة الآية (١٩٧) .

وصاحب المرأة أفضلهم لأنه أفاد أنه كان في قلبه خشية ربه، وقد شهد الله لمن كان كذلك بأن له الجنة، حيث قال: **{وأمّا من خافَ مقامَ ربّهِ ونهَى النفسَ عن الهوَى فإنّ الجنةَ هي المأوَى}** وقد أضاف هذا الرجل إلى ذلك ترك الذهب الذي أعطاه للمرأة، فأضاف إلى النفع القاصر النفع المتعدي، ولا سيما وقد قال إنها كانت بنت عمه، فتكون فيه صلة رحم أيضاً، وقد تقدم أن ذلك كان في سنة قحط، فتكون الحاجة إلى ذلك أحرى، فيترجّح على هذا رواية عبيد الله عن نافع، وقد جاءت قصة المرأة أيضاً أخيرة في حديث أنس، والله أعلم) ا.هـ.

ثانياً: أن أداء الأمانة من أعظم الأعمال الصالحات، فعلى المجاهد أن يكون أميناً في عمله، وما يناط في عنقه من أموال أو رعية أو غيرها، فإن الله سائله عن ذلك، قال تعالى {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** }[١].

وقال تعالى {**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** }[٢].

ولينظر المجاهد إلى ذلك الرجل الأمين الذي ثمر أجرة الاجير بأمانة تامة، وردّها إليه كاملة، ولم يطمع بها أبداً، فكيف وقد وضعت اموال المسلمين بيدك أيها المجاهد؟! فلا يستهوينك الشيطان، فتكون من الهالكين.

---

[١] – الانفال الآيات (٢٧، ٢٨).

[٢] – الحجر الآيات (٩٢، ٩٣).

وقد روى مسلم في صحيحه فقال : (باب غِلَظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون) حدثني زهير بن حرب، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا عكرمة بن عمار، قال حدثني سمّاك الحنفي أبو زميل، قال حدثني عبد الله بن عباس، قال حدثني عمر بن الخطاب، قال: ثم لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي ﷺ، فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد حتى مروا على رجل، فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: كلا، إني رأيته في النار في بردة غلّها أو عباءة، ثم قال رسول الله ﷺ: يا بن الخطاب اذهب فناد في الناس أنه لا يدخل الجنة إلّا المؤمنون، قال فخرجت فناديت ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون) [١]

ثالثاً : على المجاهد أن يحذر من الوقوع في المعصية خوفاً من عذاب الله تعالى، وذلك لأن الشيطان يهون الذنوب على المجاهدين، ويوقعهم في شراك الإرجاء وداء الغرور، وهو أنه لا يضر مع جهادكم ذنب ولا معصية، وليتذكر المجاهد قول الله تعالى {**لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**} [٢]

وقد قال بعض السلف : لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت.

---

[١] – ج١/ ص١٠٧.

[٢] – سورة النور الآية (٦٣).

ثم إن المعصية تؤخر النصر إن لم ترفعه وتقوي شوكة الكفار، فأي عبد مسلم وقع في معصية فقد أضاف إلى الكفار قوة في صدور المسلمين.

فلا نؤتى إلا من قبل ذنوبنا، كما حصل يوم أحد لما خالف الرماة أمر نبيهم ﷺ حيث قال: لهم (إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم، وإن رأيتمونا قد هزمنا القوم فلا تبرحوا مكانكم) فتركوا أماكنهم، ونزلوا، فأدال المشركون على المسلمين بسبب هذه المعصية الفعلية الظاهرة، فقال الله لهم: **{أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**(1)

أما يوم حنين فوقع جيش الإسلام في معصية قولية، فقال بعضهم: (لن نهزم اليوم من قلة) واغترّوا بكثرتهم، فخدشَتْ هذه الكلمة جناب التوكل على الله، وعُوتِبُوا على ذلك عتاباً شديداً، فقال الله تعالى: **{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ثُمَّ أَنَزلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ ثُمَّ يَتُوبُ اللّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاء وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}**(2).

فلولا التوبة والاستغفار ما انتصروا، ولولا الافتقار إلى الله تعالى ما نزلت السكينة في قلوبهم، فالنصر قرين الإيمان **(وكان حقّاً علينا نصرُ**

---

(1) – آل عمران (١٦٥).

(2) – التوبة الآيات من (٢٥-٢٧).

المؤمنين) فينبغي على المجاهد أن يكون دائم التوبة والاستغفار، و أن يحذر معصية الواحد القهار، وأن يكون عفيفاً نقيّاً تقيّاً طاهر القلب واللسان، بعيداً عن المحرمات الظاهرة والباطنة، ولا سيما غض الابصار عما حرم الله تعالى من النظر إلى النساء الفاجرات عبر القنوات الفضائية وغيرها، فلا تزول صخرة الابتلاء إلا بالعفّة عن الحرام خوفاً من الملك العلّام، كما أستجاب الله لذلك الرجل الصالح العفيف الذي حفظ فرجه من الزنا، وقد تهيأت له جميع الأسباب، فتركه ابتغاء مرضات الله، فلما سأل الله تعالى بعمله الصالح هذا كشفت عنه هذه الكربة، ورفعت عنه تلك المحنة، فلا نصر إلا مع خشية الله {**وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِّ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**}[١].

اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، و هازم الأحزاب، سريع الحساب، اللهم اهزم امريكا، واشدد وطأتَكَ عليها، واجعلها في الأرض أحاديث، وعليك بالرافضة وأئمتهم، اللهم هيئ لعناصر الخير أن تسود، ولكرام الأمم أن تقود، وأعد للمسلمين عزّهم ومجدهم، اللهم ارزقنا الصدق والإخلاص في الأقوال والأعمال، اللهم احفظ إخواننا المجاهدين من المهاجرين والأنصار، اللهم فكّ أسر إخواننا المأسورين، وتقبّل من قُتل منا في سبيل دينك يا أرحم الراحمين، اللهم ثبت شيخنا وأميرنا أبا مصعب الزرقاوين اللهم احفظه بحفظك، وأيّده بتأييدك، وارزقه الإخلاص في

---

(١) – آل عمران الآية (١٢٦).

القول والعمل، وسدّد خطاه لكل خير، ولكل ما فيه عـزّة الإسـلام ونصر المسلمين، اللهم أحسن ختامنا بشهادة كريمـة في سـبيل دينـك مقبلـين غـير مدبرين، اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.